

الجنون الناقد للسلطة في نماذج من الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣

عالية خليل إبراهيم حسن

الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم اللغة العربية

الملخص:

برزت موضوعة الجنون واضحة إلى واجهة التمثيل السردى العراقي بعد ٢٠٠٣ وما تلاها من موجات العنف التي عصفت بالبلاد وصولاً إلى حرب ٢٠١٤-٢٠١٧، يظل الجنون موضوعاً طازجاً للتأمل وإعادة القراءة السرديين سواءً على مستوى تأويل الظاهرة أو على مستوى تحريك الجنون في علاقته ببلاغة الخطاب، سوف أتناول ثلاث روايات اتخذت من الجنون تمثيلاً سردياً للعلاقة بالسلطة. الكلمات المفتاحية: الرواية، الناقد، العراقية، التمثيل، السردى

Critical Madness of Authority In Examples from Iraqi Novels After 2003

Alia Khalil Ibrahim Hassan

Department of Arabic Language

Abstract

The theme of madness emerged prominently in Iraqi narrative representation after 2003 and the subsequent waves of violence that swept the country, culminating in the 2014-2017. Madness remains a fresh subject for reflection and reinterpretation in narratives, whether in terms of interpreting the phenomenon or in weaving madness into the rhetoric of discourse. I will examine three novels that have used madness as a narrative representation, beginning with the most recently published: .

Keywords: novel, critic, Iraqi, representation, narrative

التوطئة: سلطة العقل في مواجهة فلسفة الجنون

الجنون مرآة العقل ونظيره وإذ تتراجع العقلنة تحت وطأة السلطة التي تتجاذبها الصراعات المسلحة يتصدر الجنون المشهد كونه فلسفة للانعتاق من هيمنة السلطة من جهة وتمثيل سردي وخطابي يدحض اكراهات الزمان والجغرافيا بمقاييس التخيل الأدبي مزحزحا السلطة من الفاعلية مرجأاً إياها طبقات الوعي الممكن مثل صور الإدراك الحسي والذاكرة واللعب والسخرية، بهكذا توقعات توجه الروائيون العراقيون صوب الجنون لتشييد عالم للحمقى والمعتوهين والمجانين مواز لواقع الحروب والاستبداد.

جنأً وجنً في العربية بمعنى الستر " كل ما ستر عنك فقد جن عنك"، وجن الليل جنونه ظلمته (إبادي، ٢٠٠٣)، والجن ما خلق من نار، والجنون هو اخفاء العقل أو ستره أو لفظ يطلق على المصاب بعقله بمس شيطاني. الجنون في الثقافة العربية علة تلم بالعقل تجعل صاحبها غير مسؤول عن حياته وسلوكه فتسقط عنه الواجبات الشرعية والاجتماعية هذا من جانب، من جانب آخر إن مفردات مثل المعتوه والأحمق تؤدي دلالة قريبة من الجنون في تعبيره عن نقص العقل أو ذهابه.

وجدت في كلام المجانين والمعتوهين جرأة في قول الحقيقة وبلاغة في التعبير الاستعاري/ الكنائي عن بواطن الأمور والبشر وظواهرهما، وقد عرف الضحاك والبهاليل في التراث العربي الإسلامي بالحكمة وانتقاد السلطة باستخدام المجازات اللغوية والتورية البلاغية والنصح للخلفاء، بالإمكان أن نعد كلامهم شكلاً أولياً من الجنون الناقد للسلطة.

الجنون في التحليل النفسي الاكلينيكي اضطراب في العمليات الذهنية يفضي إلى تدهور في القدرة على التمييز واتخاذ القرار والانخراط في الواقع بشكل متزن، هنالك مصطلحات عديدة ابتكرها " سيجموند فرويد" تعبر عن جملة اضطرابات نفسية تؤثر على الفعاليات العصبية لدماغ الإنسان مثل الذهان والعصاب والهستيريا وغيرها والتي تعد الجنون علة نفسية وذهنية عميقة الغور في اللاوعي المكبوت .

تجذرت علاقة الجنون بخطاب الفلسفة الغربية منذ "ديكارت" والذي اضمر فرضية الجنون بوصفه وسيلة تشي على المستوى الاستراتيجي في الشك في كل مواقفنا المعتادة نحو المعرفة والتجربة، ومن ثم استمرت مع مجموعة فلاسفة ونقاد غربيين عرفوا بفلسفة الجنون في مقدمتهم "نيتشه" والذي ربط بين حيل الخطاب والجنون بالتعبير عنده يدل بصورة كاملة على نقيضه فيتطابق مع معناه العكسي

الفيلسوف الآخر "دريدا" مؤسس الفلسفة التفكيكية والتي تعني " التناقض الذاتي حيث يفصح النص لا أرواها التوتر بين بلاغته ومنطقه بين ما يقصد به ظاهراً وما يكره أن يعنيه ما يقتضي القيام بنوع من القلب الاستراتيجي " (نايل، ٢٠١٣، صفحة ٢٤٢).

لا يوجد الجنون برأي " ميشيل فوكو" إلا من خلال علاقته بالسلطة بما تمثله من امتلاكها لقوة الردع والتشريع، يفرق بين الجنون في العصر الكلاسيكي بداية من القرن ١٧ عشر وبين الجنون في القرون الوسطى "ولدت حساسية جديدة تجاهه إنها ليست حساسية دينية بل حساسية اجتماعية فإذا كان المجنون له حضوراً مألوف داخل العالم الانساني باعتباره آتياً من عالم آخر في القرون الوسطى أما الآن فإنه يمثل مشكلة تمليها العلاقة بنظام الأفراد بالمدينة" (فوكو، ٢٠٠٥، صفحة ٨٠) إن حقبة الأنوار في أوروبا آمنت بالعقل وحده ووجدت في عالم البؤس والحمقى فوضى وخطراً يجب التخلص منه وحججه في أمكنة خاصة. يضيف فوكو معنى لا ينكره أحد على تاريخ الجنون فيصوغه في شكل سردي لا يمكن إدراكه سوى بالعقل وبالتالي فإن مقولات فوكو ومنها " الجنون آخر الخطاب العقلي " الجانب المظلم المكبوت من التراث التنويري" مقولات قابلة للتفكيك والقلب هي الأخرى.

إن الرهان الذي راهن عليه فوكو هو " انطاق الجنون ليتحدث عن نفسه ويفتح آذاننا لكل تلك الكلمات المحرومة من لغة، الكلمات المنسية ولن يتأتى له هذا الأمر إلا في إطار لغة المجاز أو في مجاز اللغة" (الصباح، ابريل ١٩٨٧، صفحة ٦٤)

يمثل الجنون وعياً نقدياً متجاوزاً في تمثيله الوجود فلاغربة أن يكون جنس الرواية فضاءً لتمثيل الجنون منذ سرفانتس في القرن التاسع عشر ولوقت الراهن نشأت الرواية في عصر هيمنة العقل واقتبست طريقتها في النظرة للانسان والأشياء تنبّهت مبكراً لابتنكار انطاق ناقدة لصرامة العقل ومؤسساته المهيمنة .

أولاً : جنة الحمقى في "فسحة للجنون" للراحل سعد محمد رحيم

رواية "فسحة للجنون" من أواخر ما كتب الراحل (سعد محمد رحيم) يبدو عنوانها أقرب لقصيدة منه إلى عنوان رواية ،وهناك قصيدة من قبل المؤلف في اختيار هذا العنوان ،لقد أراد لها أن تكون فسحة للترويح عن القارئ بقدر كونها حكاية ومن ثم رواية حرب، من الممكن وصفها بأنها شعرية رفض للحروب المتطاولة في هذا البلد من خلال الاحتفاء بالجنون بوصفه اعتاقاً من سلطة الواقع (الرواية) نحو الرمز والاستعارة (الشعر) ومن هيمنة العقلنة نحو جذل الحواس.

" فسحة للجنون" رواية تصويرية سواء على مستوى مبناها الدرامي المتسلسل أو على مستوى اللغة الشاعرية المميزة لها. زمان الرواية هو زمن الكتابة فهو وليد اللحظة التاريخية الحرجة "احتلال داعش للمدن العراقية، حزيران ٢٠١٤، يرى (سعد محمد رحيم) بلدته التي عاش فيها شطراً من طفولته وصباه وهي تُنتهك من قبل قوة إرهابية غاشمة ببلدة (السعدية) رمز لها في الرواية بالحرف "س"، وهي البلدة القريبة من المدينة التي عاش فيها الشطر الأكبر من حياته مدينة (بعقوبة) ورمز لها بالبلدة "ب"، فما كان منه إلا أن يرفض هذا الاحتلال وينبذ الحرب الجديدة (القديمة) محتفياً بالمجانين والحمقى والمعتهين الذين غادروا وعيهم وعادوا أطفالاً أبرياء عراة تحت ضوء الشمس (رحيم، ٢٠١٨، صفحة ٨٧).

لم يماحك الروائي اللحظة الاتية لزمن كتابة الرواية بما يكتنفها من اضطراب في المشاعر والتباس في الرؤية والمعالجة فلجأ إلى ذاكرته الإبداعية ليدين أول من أسس منهاجاً الكراهية بين أبناء الشعب الواحد وشرع ثقافة التوحش التي ظلت تفرخ قتلة ومجرمين للتاريخ القادم الا وهو حزب البعث الفاشي والذي حكم البلد أربعين عاماً كاملة بدأت بانقلاب دموي توسطتهما حربين دمويتين وكان آخرها حرب مدمرة أطاحت برأس النظام وأبقت دوامة الحروب متواترة على البلد .

تبدأ الحكاية أواخر السبعينيات قبل الحرب العراقية الإيرانية، شاب جنوبي اسمه (عامر عباس حميد) كان ضحية ذلك التعذيب الوحشي في معتقلات الأمن العامة والذي قل نظيره في التاريخ الحديث، لم يكن مجنوناً قبل الحرب بثلاث سنوات وبضعة شهور، كان شاباً يدرس في أكاديمية الفنون الجميلة قسم الرسم وكان له حبيبة بغدادية جميلة وأصدقاء أحلام وطموحات ومشاريع للمستقبل.

الصقت به تهمة الانتماء للحزب الشيوعي التهمة الجاهزة للمثقف في ذلك الوقت، ربما لأنه قارئ نهم ويحمل أفكارا مغايرة للساند والمألوف لا يخشى أن يبوّح بها ضمن حلقات الأصدقاء في مقاهي بغداد وتجمعات الطلاب في الجامعة أو الأقسام الداخلية، تلك التجمعات التي ظهرت في منتصف الستينيات وتبلورت فيها تيارات فكرية وأدبية وثقافية مهمة لكنها مع نهاية السبعينيات صارت بوابة لاستنزاف طاقات العراق الثقافية والسياسية وقد راح ضحية الوشاية آلاف من الأبرياء

يفقد عامر عقله جراء ذلك التعذيب الوحشي ويودع في الشماعية فترة ويطلق صراحه بعد أن تعدد السلطة مختلا عقليا، تعرض ظروف الاعتقال وقساوة التعذيب على الإصابة بأنواع العلل النفسية والعقلية والعاهات الخلقية بما فيها الانحراف والشذوذ يحدث ذلك حتى في سجون ومعتقلات الدول المتقدمة فما بالك بسجون ومعتقلات حزب البعث الفاشي البائد؟! (كوبرز، ٢٠١٥) لم يرغب بالعودة إلى المدينة الجنوبية التي رمز لها بالبلدة (ع) التي ولد ونشأ فيها وإنما ذهب صوب البلدة الحدودية "س" مخبولا هائما على وجهه في الأزقة والطرق، يتعهده بالرعاية أحد أقرباءه، يمنحه طعاما وغرفة ليبيت فيها ثم يغير اسمه ليكون (حكمت) يطلق عليه الناس في البلدة تسمية (حكّو) المخبل، كان ذلك قبل اندلاع الحرب.

جرب المؤلف لعبة سردية طريفة وجديدة في الرواية، فقد جاء السرد بصوت الراوي العليم غير أن هذا الراوي يتحكم من وظيفته أحيانا ويشكك في كونه عليما بكل شيء "أن كنت لم تدرك بعد ماذا يجري فارجع عزيزي القارئ إلى فصل لمصوص الحرب في هذه الرواية لتعرف أن حكمت يتذكر تلك الليلة من أوائل أيام الحرب، وعذرا لهذا التدخل من قبلي، أنا الراوي غير العليم بكل شيء" / ٢٠٦. تقمصت الشخصية دور المعتوه أو الأحمق لتتجو بروحها الشفافة من ركاب القسوة والظلم هذه قناعة الراوي والدليل الذي يقدمه على ذلك هو عدم أصابته بأعراض الجنون المعروفة مثل الاكتئاب الهوسي أو السوداوية وإنما تقمص الجنون بصورته الساخرة المتوارثة في المخيال الشعبي مثل الشعر الأشعث والاسمال الممزقة، يمشي وفي يده عصا، يتلفظ بالفحش، يصفق ويغني وقت يشاء يحمل معه ربع عرق (ههب) في جيبه ويكرع منه قليلا بين ساعة وأخرى. من جانب آخر وفي صفحات مطولة يصف الراوي مشاهد التعذيب الذي تعرض لها عامر في المعتقل، تدل المشاهد على أن الراوي ترك للقارئ حرية الاختلاف معه في ترجيح جنون عامر من عدمه، يشارك المسرود له الراوي في كشف دلالة الفعل .

ثانيا: قتل الأب في رواية " ما لم يمسه نار " لعبد الخالق الركابي:

ثمة مسافة للتوافق الزمكاني بين هذه الرواية و " فسحة للجنون " وفضاء للاختلاف بينهما، يرصد كلاهما نهاية حرب وبداية أخرى جديدة وتطور أحداثهما في منطقة حدودية فلا تكاد تعبر حقبة زمنية من تاريخ العراق إلا ونرى حدودنا قد اشتعلت نارا. جرت أحداث " ما لم يمسه نار " في بدرة قرب الحدود العراقية الإيرانية، شهدت هذه البلدة نزوحا جماعيا لسكانها عام ١٩٨٠ نتيجة للقصف المتبادل بين الدولتين، عادت لها الحياة من جديد مع حرب أخرى ١٩٩١ فقد رجع بناؤها نازحين من مراكز المدن مع اشتداد القصف الجوي على العاصمة والمدن الرئيسية من ضمنهم الروائي الراوي للحكاية. من جهة الاختلاف بين الروائيتين لم تصور الرواية الجانب الشعاري والساخر من تجربة الجنون بل ذهبت نحو الجانب المظلم والسوداوي منه ذلك ما تشير إليه عتبة العنوان فالجنون في لفظه يرجع للجان والأبالسة مخلوقات النار، يحرر الجنون والأمراض النفسية وبخاصة العصاب الهستيرى طاقة الشر داخل النفس من عقالها ويطلق العنان لنوازع العنف.

ما يميز أسلوبية السرد الروائي للركابي عن غيره من الكتاب أنه يكتب ما يمكن أن أطلق عليه الرواية التكعيبية متعددة السطوح والزوايا الهندسية، فالمستوى التصويري يسير إلى جانب المستوى الفكري، ويرافق مستوى الوثيقة والآخر مستوى الصراع الدرامي وتتواشج الحكاية مع الفنون المجاورة والمغايرة وتحضر تقنية الميتا سرد خطابا نقديا يحاكم الرواية قيمة فكريا ويعري تقاناتها جنسا إبداعيا تتضمن الرواية أربع مستويات سردية أو روايات متجاوزة داخلها، أولا مستوى الرواية التأسيسية " الجريمة والعقاب " الشهيرة لستيفسكي، تأثر بها بطل الرواية " نديم اسكندريك " منذ أن قرأها في مطلع شبابه وكانت محرضة لنوازع النفسية المختلة على إيذاء الآخر إضافة لمرض الصرع التي ألم به في شبابه وجعله نزيرا لمستشفى الرشاد (الشماعية) باستمرار. الرواية موضوعها الجنون بجوانبه الإيجابية في كونه مرآة ناقدة للعقل في علاقته بالسلطة وكرهاتها وتدجينها لفضاء التفكير الحر وعلاقة الجنون بالقراءة والتفلسف والتفكير في حقيقة الوجود والعدم وتتناول الرواية الجانب المظلم للجنون في علاقته بالعنف وارتكاب الجريمة وبالتالي فإن

حكاية نديم متناصة مع حكاية المصروع في رواية الجريمة والعقاب " لقد لعبت هذه الرواية دورا غريبا في حياتي،.. تكلم وقد جلس على كرسي بجواري ، وكان لها أثرها المشؤوم عليّ، ولعلها هي التي حددت مصيري دون أن أدري" (الركابي، ٢٠١٦، صفحة ٥١).
ثانيا رواية السارد غير المسمى والذي تنطبق سيرته على المؤلف " عبد الخالق الركابي" فالراوي لم يسم في الرواية راوي عراقي معروف اصله من ناحية بدره متزوج وله ثلاث بنات، رواية سيرة متخيلة تحكي عن جذور المؤلف وعلاقة الصداقة التي جمعتها ببطل الرواية " نديم اسكندر بيك" من قبل وبعد مرحلة الجنون، تكلم المؤلف في نص السيرة عن الكتب والقصص الأولى والتي قرأها في صباه وشكلت وعيه الفكري والثقافي ومن ثم زودته بالأدوات الأسلوبية اللازمة ليكون راوياً في المستقبل ، وبما أن الرواية تدور عام ١٩٩١ في حرب الخليج وزمن كتابتها تسعينيات القرن الماضي فقد سرد الروائي/ الراوي معاناة المثقف العراقي في التسعينيات مرحلة الاذلال التي عاشها المثقف مكرها وقد اضطرت السلطة على تحمل اعباء النكسة الاقتصادية جراء الحصار حتى وصل به الحال الى بيع مثله قبل مكتبته في سبيل توفير رغيف العيش، يصف الروائي شارع المتنبي وكيف افترش الكتاب الرصيف عن يمين وشمال لبيع كتبهم إلى جانب الباعة من العوام " عاد يذكرني بضرورة مشاركته في بيع الكتب في شارع المتنبي يوم الجمعة أسوء بعشرات المثقفين الذين سبقونا في الشروع ببيع كتبهم /" ١٤٩.

تلتقي رواية البطل مع رواية السارد عندما يطلب " نديم" من الروائي مساعدته في كتابة اجزاء من سيرته وعائلته في ناحية بدره "على هذا المنوال مضت الشخصيتان في تسطير تلك الحوادث في دفتره مضمنا اياها أخبارا لأشقياء والمجانين دون أن ينسى التطرق إلى ذكر عدد من احلامه قبل أن يعود إلى حوادث الانتحار" / ١١١، تمثلت عقدة نديم بوالده الاقطاعي المصاب هو الآخر بالصرع وقد أخذ يعنف ابنه ضربا خاصة بعد أفول دولة السلطان العثماني فقد كان مواليا لها ويعتبر وجاهته امتدادا لتراثهم الثقافي وإن لم تمس السلطة الملكية نفوذه المادي، تقاوم الصراع بين الأب والإبن نتيجة لعنف الأب وتزمت الفكرية وقد أخذ يمنع ابنه من قراءة الكتب وصداقة الشيوعيين وتبني معتقداتهم.

تولدت الرغبة عند البطل بقتل الأب وقد غذي شعوره باستعداده العقلي للانحراف أولا واعجابه ببطل رواية " الجريمة والعقاب" ثانيا ،وقد فعلها وقتل اباه بعد مشادة بالالسن واليدين بينهما ومن بعد قتله انتقلت إليه صفات الأب كما تقول نظرية الافتراض النفسية التي وضحها " فرويد" في كتابه " الطوطم والمحرم" فالافتراض أو القتل يصرار إلى امتلاك خصائص المفترس أو اجزاء من قوته (جاك لابلاتش ، مصطفى حجازي، ٢٠١١، صفحة ١٥٩). ليس بإمكان الوريث النجاة من تركة السلطة فهي النار المحرقة من يمسخها بسوء أو بخير.

كرر " نديم " فعل القتل وأصيب على اثر اغراق أخته " هاجر" بالشط وأدخل على اثرها مستشفى الرشاد للمرة الأولى عام ١٩٥٣ مبررا فعلته بأنها كانت السبب في الخلاف بينه وأبيه لكون الضحية أخته من علاقة محرمة أقامها الأب مع خادمته، بعد أربعة عقود وأثناء حرب ١٩٩١ حاول احراق الرواية وانتحر بعدها ومات وقد احترق جزء من المخطوط والآخر " ما لم تمسخه نار".

كان نتاج تنافس الروائيتين رواية تمرد قتل الأب ورواية الروائي عن انحطاط دور المثقف في نهاية القرن العشرين تلك الرواية المقرونة بين ايدينا " أما الخيط الرابط بين الروائيتين اضافة لكون الشخصيتين من ناحية بدره وصديقين بينهما امرأة واحدة فكان أحدهما قرين الآخر أو ظله، يربط بين الروائيتين نقد أفعال السلطة وعلاقتها المرضية برعاياها، علاقة عصابية بكل ما تحمل كلمة جنون من عدمية ووحشية.

ثالثا: نقد السلطة الدينية في رواية " صورة يوسف" لنجم والي

تتناول "صورة يوسف" منعطف سقوط نظام البعث على ايد قوات التحالف الدولي يوم ٩ نيسان ٢٠٠٣ بيد أن التغيير أو سقوط العاصمة لم يكن مسرحا لأحداث الرواية وشخصياتها هي الأخرى ليست تاريخية فلا يدعو السقوط كونه خلفية أو أطارا للحكاية التي تستوحى قصة النبي يوسف الصديق مع أخوته القتل كما وردت في القرآن الكريم الشاب يوسف وعلاقته بأخيه (يونس) القاتل الكذاب.. من جملة هؤلاء (يوسف) بطل الرواية الذي قضى فترة من صباه حبس سجن الأحداث بتهمة باطلة لفقها له شقيقه ولقد ظل مرتحلا في شبابه بين المعتقلات السياسية ومستشفيات الأمراض النفسية اثناء حكم البعث في العراق جاءت الفرصة المواتية لاسترداد حقه وهويته بعد سقوط النظام لأن اخاه كان قد سلبه اسمه قبل أن يسلب سمعته وحريته" حان وقت قيام الساعة وعلى القاتل تسديد ديونه" (والي، ٢٠٠٤، صفحة ٢١).

تناول الراوي سلطة الدين في رواية " صورة يوسف " على مستويين، مستوى التناص مع القصص القرآني، ومستوى الملفوظ السرد للراوي والشخصيات. المستوى الأول " التناص بين قصة يوسف والقصص القرآني: عنوان الرواية (صورة يوسف) وليست سورة كما وردت في القرآن الكريم، تأتي السورة بمعنى السور العلو والإحاطة وكذلك المنزلة من البناء مقطوعة عن الأخرى وهي بحسب ما تضاف إلى الشيء وغالباً ما تعني ذروته أو تمامه (منظور، صفحة ٨٥٦) وللصور والمنزلة دلالة الاكتمال والانسجام لأن العقل مصدرها بينما ترجع الصورة إلى المدركات الحسية وهي الإدراك بالاستناد إلى تجربة الذات ونسق الذاكرة ونشاط المخيلة "لا يوجد شيء في الوعي إذا لم يكن موجوداً من قبل في الإحساس أي أن جميع الأفعال المنسوبة إلى القدرات المختلفة لهذه المجموعة هي ليست سوى تعديلات عن المادة المعطاة للحواس أو انكار للعلاقة السببية بين الروح والعالم الذي أوجدته الروح أثناء الإدراك الحسي " (عزيز، ٢٠٢١، صفحة ٨٠) فصورة الشيء الذهنية والتجسيدية تستند إلى ظاهرة الإحساس الذي يصدق أحياناً ويلتبس بالذاكرة والمخيلة والوهم والحلم أحياناً أخرى.

تبنى القصص الدنيوية على مرجعية الصورة أو التخييل بينما القرآن الكريم كتاب حكيم كما وصفه الله تعالى "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهل يعني ذلك أن القصص القرآني مختلف تماماً عن القصص الدنيوي؟. يستند مفهوم القصة في العرف اللغوي- الاجتماعي عند العرب بالواقع والحقيقة حيث القصة فن شفاهي تداولي يؤثر الصدق في نقل الخبر بحسب الجذر اللغوي لل فعل الاستكشاف في قص الأثر أي تتبعه شيئاً فشيئاً.

قال أغلب المفسرين أن قصص القرآن وأن طوعت أسلوب محاكاة الواقع فذلك لغاية تواصلية تتمثل في أخذ العبرة من أحداث التاريخ والأمم الغابرة ونقل العظة للأجيال القادمة، يستند القصص القرآني إلى ثلاث مسلمات اللغة والتاريخ والمنطق بينما يميل العديد من المفكرين المحدثين إلى أدبية القصص القرآني " ليست القصة في القرآن عرضاً تاريخياً تطلب فيه المطابقة الواقعية المحققة للصدق العقلي وإنما هي عرض أدبي يطلب فيه التأثير " (الله، ١٩٥٠، صفحة ٢٦) من وجهة النظر هذه تحديداً يبدأ المؤلف الضمني بمحاكاة انتقادية مسخية للقصة القرآنية تؤكد ذلك شارة الغلاف وهي صورة لمسح نصفه انسان ونصفه حيوان.

يوسف الصديق ابن يعقوب في النص الديني هو يوسف المختل عقلياً الذي لا أب له تنبذ الرواية العقل على عكس الآية، أين المنطق في التاريخ في تجلياته الواقعية أم في المدركات الذهنية، أين العقل والمنطق في مواجهة طفل صغير كل تلك الشرور والأحقاد من شقيقه، هذه هي رواية التاريخ تبدأ من العنف وتنتهي عنده، أليس العنف موضوعة رئيسة لقصص الانبياء، أليس العنف مؤسسا للفكر الديني ألم يأمر الاله نبيه ابراهيم بذبح ابنه على مرأى من الناس وسمع، ايقظت الرواية حاسة الشك في سلطة الأب البيولوجي ومن وراء الاسم الأعظم "الله" من خلال اشاراتها للمسائل الاعتقادية لقبول أو رفض الفكر الديني من هذه المسائل، مشكلة السلطة وحتمية الخضوع لها، مشكلة الشر، العدل الالهي. شهوة القتل المتكافئة مع شهوة الجنس. اكتسبت كل تلك المسائل الحجية الخطابية في نقدها للسلطة الدينية.

خاتمة ونتائج:

لا يعد الجنون في علاقته بالفلسفة والأدب عاهة نفسية ذهنية و عضوية فسيولوجية فحسب وإنما وعياً نقدياً متجاوزاً في تمثيله لعلاقة الذات بالوجود والمجتمع والسلطة والثقافة بوصفه مرآة العقل الكاشفة أو صورته المشوهة المقلوبة فهو الجانب المهمش والمنبذ والمقصي والذي تحاول السلطة بمختلف مستوياتها اقصائه عن المركز فلا غرابة أن يعنى جنس الرواية بمتخيل الجنون من النشأة عند "سرفانتس" وحتى الرواية عصرنا الراهن، وقد لمع الجنون موضوعاً للتناول في الرواية العراقية بعد موجات العنف والقتل والإرهاب والتي أملت بالبلاد بعد ٢٠٠٣، ومن الروايات والتي أخذت منها نماذج للقراءة والتحليل ثلاث روايات أولها كانت " فسحة للجنون " للروائي الراحل سعد محمد رحيم وقد تناولت الجنون بجانبه الإيجابي في وصفه فسحة للخلاص وفضاءاً للحرية والانتعاق من استبداد السلطة واكراهاتها المضنية " ، تناولت رواية " ما لم يمسه نار " للروائي عبد الخالق الركابي الجنون في أبعاده الفكرية والثقافية المختلفة وبخاصة علاقته بالأيوية و بحرية الإرادة ، الشر والخير، الجسد والشهوة وسياسات الدول العظمى وممارسات الأنظمة السياسية لتخلص إلى الحاجة الفكرية والسردية للجنون ومجازه اللغوي الجان والذي خلق من النار والتي تحرق وتبيد وتضيء في الوقت ذاته. أما رواية " صورة يوسف " لنجم والي فتلك رواية محاكاة ساخرة للقصص الديني حيث يتم قلب قصة النبي يوسف وكما وردت في

القرآن الكريم إلى حكاية معاصرة عن الظلم والحقد والقهر والكذب والخديعة بطلها يوسف المريض النفسي والذي يواجه اكرهات الظلم ومصادرة الحق والهوية من قبل أخيه متلبسا بقناع السلطة.

المراجع:

- الفيروز ابادي. (٢٠٠٣). *القاموس المحيط*. بيروت: دار احياء التراث.
- الله م. أ. (1950). *الفن القصصي في القرآن الكريم*. القاهرة: بولاق.
- تحسين رزاق عزيز. (٢٠٢١). *الفكر واللغة*. الجزائر: روافد للنشر والتوزيع.
- تيري كوبرز. (٢٠١٥). *الجنون في غياهب السجون*. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- جاك لابلانز ، مصطفى حجازي. (2011). *معجم مصطلحات التحليل النفسي*. بيروت: مركز الوحدة العربية ، المؤسسة العربية للترجمة.
- حسام نایل. (٢٠١٣). *مدخل الى التفكير*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- رشا حمود الصباح. (ابريل ١٩٨٧). *الجنون في الأدب*. عالم الفكر، ٧٨.
- سعد محمد رحيم. (٢٠١٨). *فسحة للجنون*. بغداد: سطور للنشر والتوزيع.
- عبد الخالق الركابي. (٢٠١٦). *ما لم يمسه نار*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- منظور ، ا. (n.d.). *لسان العرب*. شبكة الانترنت.
- ميشيل فوكو. (٢٠٠٥). *تاريخ الجنون فيالعصر الكلاسيكي*. بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- والي ن. (2004). *صورة يوسف*. القاهرة: ميريت للنشر.

References

- Al-Fayruzabadi, M. ibn Y. (2003). *Al-Qamus al-Muhit*. Dar Ihya' Al-Turath.
- Abdullah, M. A. (1950). *The art of storytelling in the Holy Qur'an*. Bulaq Press.
- Aziz, T. R. (2021). *Thought and language*. Rawafid for Publishing and Distribution.
- Coopers, T. (2015). *Madness in the depths of prisons*. Hindawi Foundation for Education and Culture.
- Laplanche, J., & Hijazi, M. (2011). *Dictionary of psychoanalytic terminology*. Center for Arab Unity Studies & Arab Organization for Translation.
- Nayel, H. (2013). *Introductions to deconstruction*. Egyptian General Book Organization.
- Al-Sabah, R. H. (1987, April). Madness in literature. *Alam Al-Fikr*, 78.
- Rahim, S. M. (2018). *A space for madness*. Sutour for Publishing and Distribution.
- Al-Rikabi, A. A. (2016). *What the fire did not touch*. Arab Institution for Studies and Publishing.
- Ibn Manzur. (n.d.). *Lisan al-'Arab*. Internet Archive. (Replace with the actual website name or URL if available.)
- Foucault, M. (2005). *History of madness in the classical age*. Arab Cultural Center.
- Wali, N. (2004). *The image of Joseph*. Merit Publishing.